

سلسلة دعوت ري

رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي

إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: 15].

من المؤكد أنّ الإنسان المؤمن بحاجة إلى أن يسأل الله تعالى أن ينعم عليه، ثم هو محتاج أن يشكر الله تعالى على ما أنعم الله به عليه ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾.

و ﴿أَوْزِعْنِي﴾ أي: ألهمني، والإسلام نصفه صبر ونصفه شكر. أن تشكر الله عز وجل على ما أنعم به عليك، فصيام رمضان نعمة محروم منها عدد من الناس، إما ببعدهم عن الدين وإما لفقدهم الصحة، وأنت الحمد لله رب العالمين صمت في هذا العام، قيام رمضان نعمة، حضور مجالس العلم نعمة، أن تألف الصالحين نعمة، أن يدخلك الله تعالى في بيوته نعمة، أن تبقى جالساً في بيوت الله تعالى نعمة ((المؤمن في المسجد كالسمك في الماء، والمنافق في المسجد كالطير في القفص)) [كشف الخفاء ومزيل الإلباس: وقال لم أعرفه حديثاً].

فإذا كنت تشعر في المسجد بأنك مسرور ومطمئن ومرتاح فالحمد لله. هذا فضل من الله عز وجل أن جعل قلبك معلقاً بالمساجد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق، أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» [البخاري ومسلم].

هذه النعم التي أكرمنا الله بها علينا تحتاج إلى أن نشكرها والشكر على ثلاثة أوجه:

1. أن يمتلئ قلبك اعترافاً لحضرة الله عز وجل بفضله.
 2. أن تنطق بشكر الله عز وجل بلسانك.
 3. أن تستخدم ما أنعم الله به عليك في طاعته.
- ليس من الأدب إذا رزقك الله تعالى عيوناً صالحةً أن تنظر فيها إلى ما لا يرضيه, وإذا رزقك الله تعالى مالاً وافرأ أن تستخدمه فيما يغضبه, وإذا أكرمك الله تعالى بصلات اجتماعية واسعة أن تكون الصلوات أداة لاقتحامك في المعاصي, فالشكر على ثلاثة أوجه:
- اعتراف بالجنان, ونطق باللسان, وعمل بالأركان, كما قال الشاعر -وينسب البيت إلى الإمام الشيباني الشافعي:-

أفادتكم النعماء مني يدي ولساني والضمير
ثلاثة المحجبا

أما يدي فلا أعمل فيها إلا ما يرضيكم, وأما لساني فأنا ناطق بشركم, وأما جناني فهو معترف بفضلكم, قال الله تعالى ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ [سبأ 13] ولم يقل: (قولوا).

فنحن بحاجة أن نشكر الله تعالى بألستنا, وبحاجة أن نجهد ونجتهد في جوارحنا, أن لا نستخدم ما أنعم الله به علينا إلا في طاعته, لكن في هذه الآية والدعاء وقفات.

الدعاء يقول: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾ .

قد يقول قائل وما علاقتي إذا أنعم الله على والدي؟ هذا فضل من الله عز وجل أن أنعم على والديك, وهذه النعمة ستعود عليك, فإذا كان الله قد أنعم على والديك بنعمة حفظ كتاب الله تعالى, فهي نعمة ستعود عليك وإذا أنعم الله عليهما بأن كانا من أهل الصلاح, فستعود هذه النعمة عليك, وإذا جعلهما الله أغنياء عن الناس, فستعود هذه النعمة عليك, وإذا جعل الله والداك يحبان العلم, فستعود هذه النعمة عليك, وإذا جعل الله سمعة والديك حسنة, فستعود هذه النعمة عليك. فكم من ابن يؤلمه سمعة أبيه أو سمعة أمه, وكم من فتاة لا تخطب بسبب سمعة أبيها السيئة, وكم من فتاة لا تخطب بسبب سمعة أمها السيئة, كم من أولاد في الطرقات؛ لأن الأب والأم منشغلان عن

تربية أولادهم, فلذلك ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ
وَالِدَيَّ﴾.

ومن هنا مفيد للأبناء أن يجعلوا صدقات جارية عن روح الآباء, وهذا من شكر
النعمة.

وقد يترك الأب لولده مئآت الملايين فيستكثر الولد أن يدفع مليون ليرة صدقة
جارية عن أبيه.

جاءني رجل وأنا أعلم أنَّ والده ترك له مئآت الملايين, وقال لي: هذه عشرة
آلاف ليرة إذا كان بالإمكان أن تجد لنا صدقة جارية عن والدي!

هذا لم يشكر نعمة الله التي أنعم الله بها على والديه.
لذلك من المناسب إذا وفقتم لعمل صالح أن تهبوا ثواب هذا العمل لآبائكم
وأمهاتكم.

أحد أقاربي وقد فتح الله عليه بصلاح أولاده قال لي: كلما بعت سلعة أو قطعة,
وكان المشتري ينقصه شيئاً من المال أعطيته السلعة بما معه من المال, ونويت
الصدقة عن روح والدي وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم, فلو كانت السلعة
بألف ليرة وما معه إلا تسعمائة ليرة قبلت, وجعلت الباقي صدقة, وهذا حالي
منذ ثلاثين سنة.

قال عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رحمه الله تعالى: ((قَيِّدُوا النَّعْمَ بِالشُّكْرِ)) [الشكر لابن أبي الدنيا].
عَنِ الْحُسَيْنِ، قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ لَيَمْتَعُ بِالنِّعْمَةِ مَا شَاءَ، فَإِذَا لَمْ يُشْكَرْ قَلَبَهَا عَلَيْهِمْ عَذَابًا)) [الشكر لابن أبي
الدنيا].

وعن المنكر بن محمد قال: بلغني أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَنَا أَشَدُّ عَلَيْكُمْ خَوْفًا مِنْ

النعم مني من الذنوب, أَلَا إِنَّ النعم التي لا تشكر هي الحنف القاضي» [تاريخ دمشق لابن عساكر].

وقال مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: ((لَأَنْ أُعَافَى وَأَشْكُرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُبْتَلَى فَأَصْبِرَ)) [الشكر لابن أبي
الدنيا].

وعَنِ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: ((الشُّكْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ، وَالصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ، وَالْيَقِينُ الْإِيمَانُ كُلُّهُ))
[الشكر لابن أبي الدنيا].

وعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ هَمْدَانَ: ((إِنَّ النِّعْمَةَ مَوْصُولَةٌ بِالشُّكْرِ، وَالشُّكْرُ مُتَعَلِّقٌ
بِالْمَزِيدِ، وَهُمَا مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ، وَلَنْ يَنْقَطَعَ الْمَزِيدُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَنْقَطَعَ الشُّكْرُ مِنَ الْعَبْدِ))
[شعب الإيمان للبيهقي].

ذكروا بأنَّ النجاشي كان لديه غرفة صغيرة ملحقة بصاله ملكه وعرشه، وكان يدخلها كل فترة وأخرى، لا يدخلها أحد إلا هو ويغلق على نفسه الباب، وكان يمنع أهله وخدمه الدخول إليها، فلما ألح بعض أهله بالأمر، قال: هذه الغرفة كلما أنعم الله تعالى علي بنعمة دخلتها، وأحدثت لله فيها تواضعاً، فكان يخلع تاجه ويسجد على الأرض، ويأكل كسر الخبز اليابس تواضعاً لله عز وجل.

إن الله يحب إذا أحدث لك نعمة أن تحدث له عندها تواضعاً، وخاصة للأُم والأب، فلو رزقك الشهادة العالية بادر فوراً بتقبيل يد والديك.

في أحد الأفراح التي كنت حاضراً فيها حصل موقف لن أنساه -وقد تكرر كثيراً وسببه التربية الإيمانية العالية، وأنتم تعلمون بأنَّ العروس في يوم عرسه يكون هو أقوى أيام حياته، والسبب أنه في كل أيام حياته كان يعود إلى بيت والديه، وكان يحتاج إلى والدته لترتيب أغراضه، ولكنه في هذا اليوم هو سيعود إلى بيته ولا يحتاج إلى أمه. كان يحتاج لوالده من أجل المصروف، وهو اليوم سيصرف على بيته. كان يعتز بجاه أبيه، واليوم يحضر عرسه حوالي ثلاثمائة شخص من أجله - كان يحضر الفرح حوالي ثمانمائة رجل وكان العروس يجلس في الصف الأول، ثم فجأة ذهب إلى المصور وتكلم معه، ثم عاد إلى والده ونزل على رجل والده وقبلها، والمصور يصور هذه اللقطة، والله أحسست بأنَّ أبواب السماء قد فتحت.

إذا أحدث الله لك نعمة أحدث له تواضعاً. رزقك الله بالشهادة العالية وأحد أقاربك بسطاء أحدث لهم تواضعاً إكراماً وشكراً لله عز وجل، وسع الله عليك في رزقك أحدث تواضعاً وشكراً لله عز وجل، فتح الله عليك بعمل صالح أحدث لله تواضعاً وشكراً؛ لأنَّ النعمة موصولة بالشكر، والشكر يتعلق بالمزيد.

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ هذه الآية فيها تقييد للعمل الصالح ﴿صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ أي أنَّ هناك عمل صالح لا يرضاه الله عز وجل، كالعمل الصالح مع العجب، والعمل

الصالح مع الرياء, والعمل الصالح مع الكبر على عباد الله, والعمل الصالح الذي يرافقه تشهير وتسميع بين الناس....

﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ قال المفسرون: ((أي واجعل الصلاح

سارياً في ذريتي راسخاً فيهم متمكنين منه ولذلك عدي بـ: في)) [فتح البيان في مقاصد القرآن].

وعادة أقول: اللهم أصلح لي ذريتي, لكن لم عدل هنا إلى قوله ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾؟

أي اجعل الصلاح متمكناً في ذريتي لا يخرج منهم, فحملت (في) التضمين, أي أن يبقى الصلاح متضمناً في الذرية.

نسأل الله عز وجل أن يصلح لنا في ذرارينا, وأن يرزقنا أعمالاً صالحات يرضاها, وأن يوزعنا شكر نعمته, وما أنعم علينا وعلى آبائنا وأمهاتنا.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.
والحمد لله رب العالمين.